قصة إسلامية :

شـــــيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حقي

— ٢ —

وجدت هذه الدعوة طريقها إلى بعض الآذان ، وتهامس كثير من الخدم وقبلوا أخيرا وأعلنوا الموافقة وعمد كل فريق منهم إلى سيده فشد وثاقه وأحكم قيده ، ثم تفرغوا إلى الأمتعة يسلبون وينهبون ما تصل إليه أيديهم .

ولما عاد إدريس وسمع صيحات الخيانة تتردد فى جنبات المعسكر ، انتقى سيفه ، واستعد للنزال ، فاعترضه أحد الخدم وقال له :

— لا تضيع الوقت يا إدريس ، فهذه فرصة قل أن تسنح . إن القراصنة عاهدونا عهدا وثيقا أننا سنقتسم وإياهم كل ما نسلب

ولم يدعه إدريس يتم حديثه فبادره بقوله :

— بماذا تنطق يا هذا ؟ وماذا تريد أن تقول ؟

— أقول إن الظروف قد هيأت لنا أن نسلب متاع هذا التاجر ، ونختص بها دونه ، وسنتنزل لك عن نصفها ، ونشترك جميعا فى النصف الآخر ... وها نحن أولاء قد أحكمنا قيد سيدنا ؛ فلا تتردد وسارع إلى معونتنا ...

لم يكن لدى إدريس سوى عمل واحد لإجابة ذلك الخادم ، فإنه لم يكد يتم جملته حتى كان السيف قد فلق هامته ، فسقط على الأرض تتفجر الدماء غزيرة منه ، ثم دلف إدريس إلى إحدى الخيام فوجد سائر الخدم منهمكين فى كسر الصناديق ، وتفريغ الأوانى الذهبية ، وربطها استعدادا للرحيل ، فلما وقع عليه نظرهم حسبوه قد خف لمساعدتهم ، فقالوا فى لفظ واحد :

— مرحبا بك يا إدريس ! ستكون الجمال هنا بعد قليل ، فلم يمهلهم إدريس إلا ريثما لفظوا تلك اللفظة ، فأمسك بسيفه وأجهز على ثلاثة منهم فى طرفة عين ، فلاذ الباقون بالفرار ...

ولما لم ير إدريس سيده ولم يسمع له صوتا ، انتقل إلى خيمته الخاصة فوجده ملقى على وجهه فى أحد الأركان . وبجواره واحد من المتمردين والسيف فى يده ، فقال له ذلك المتمرد حين رآه بعد أن ركل التاجر برجله :

— ماذا يجب أن نعمل يا إدريس لنتخلص من هذا التعس؟

تأثر إدريس من الحالة التى وصل إليها سيده ، ومن الخيانة التى بدرت من أتباعه ومن هذه الوحشية والقسوة التى عاملوه بها ؛ إنهم قد شدوا وثاقه ، وأحكموا قيده ، وطرحوه أرضا ، وشهروا عليه سيوفهم ... إن إدريس مسلم ، ودينه لا يبيح له أن يتخلى عن أداء واجبه وإن عرض عليه نصف المتاع ثمنا لتخليه .

حقا إنه وحده فى هذا المكان أمام زملائه الذين سولت لهم أنفسهم أن يتألبوا على ولى نعمتهم .

وحقا إن سكوته سيجعل منه بعد ساعات معدودات غنيا كبيرا ، وثريا عظيما ، وليس بالهين عليه أن ينقذ سيده ، كما أنه ليس بالهين عليه أن يقف مكتوف اليدين لا يعمل عملا ...

إن ضمير المسلم يهيب به أن يعمل على انقاذ سيده وأن يرعى حقه عليه ، وأن يكون وفيا له ، أمينا مخلصا ، وأن يربأ بنفسه ، وينأى بدينه عن أن يتسفل إلى هذا الدرك من الانحطاط الخلقى . وهذا ما كان من إدريس فقد وثب على الخادم الذى يحرس التاجر وثبة النمر ، وجرده من سيفه ثم أطاح برأسه ، وبسرعة البرق حل قيود سيده ، وعاونه على النهوض .

أما بقية الأتباع فقد كانوا فى شغل عن ذلك كله بحزم الأمتعة فى الخيام الأخرى . ففاجأهم إدريس وصرخ فيهم صرخة قوية نبههم إلى الخطر الداهم ، فلما هموا بالقضاء عليه رأوا بجانبه سيدهم وبيده سيفه البتار ، فغشيهم من الهم ما الله به عليم . وقبل أن يثوب إليهم رشدهم ، أعمل إدريس وسيده فيهم سيفيهما فسقط اثنان منهم يتخبطان فى دمائهما . فلما رأى الباقون ذلك ولوا مدبرين . وتركوا كل شىء على ما كان عليه .

فى الصباح الباكر لاح فى وسط البحر على مد البصر ، مركب القراصنة يمخر فى العرب ، وهو مشحون بما سرقوه من

أموال ومتاع . وكانت جثث القتلى والجرحى متناثرة حول الخيام في منظر رهيب ترتجف لهوله القلوب ، ولم ينج من التجار سوى سيد إدريس ، فقد كتب الله له السلامة على يد رفيقه الأمين وحارسه المخلص الذي أبى عليه دينه وأبت مروءته أن يترك سيده في محنته . كان إدريس مؤمناً حقاً ، طبعه الإسلام بطابعه ، فنشأ متواضعاً جم التواضع ، كبير النفس ، عالي الهمة كثير الوفاء ، شديد الإخلاص أحرص على تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من حرصه على حياته ، فكان يرى أنه لا يليق بالمسلم أن يلوث سمعة الإسلام بالجبن أو الخيانة ، أو القعود عن نصرة الضعيف ... وكان يرد على ثناء سيده عليه بعد تلك الليلة بقوله :

— إنني يا سيدي لم أقم إلا بما يجب عليّ كإنسان مسلم يعلم أن الله يجزي المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته ، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

كانت تلك الفرصة هي التي ولدت في التاجر الثقة بإدريس ، وأعلت منزلته في قلبه ، حتى أصبح لا يعمل إلا بمشورته ، ولا يصدر إلا عن رأيه ، وكان الرجل من كبار التجار في الأندلس ، له القصور الشامخة ، والمزارع الواسعة ، والحدائق الغناء ، والبساتين الزهراء ، يحوطه جيش من الخدم والحشم ، ويتمتع بتقدير الناس ومحبتهم

ولما استقر المقام بالتاجر في بلده بين أهله ، أقام حفلا كبيراً ، شكراً لله على سلامته ، ودعا إليه سراة القوم وعلّيتهم ، وقدم لهم إدريس منقذ حياته ، وامتدح لهم شجاعته ونجدته ، وقص عليهم قصته ، وقال في تمام حديثه : « فلولا إدريس لكنت في عداد الأموات منذ أمد بعيد ؛ فأنا مدين له بحياتي ! » .

جعل كلام الرجل لإدريس مكاناً ممتازاً في نفوس الناس وقلوبهم ، فكانوا يجلونه ويحترمونه ، ويقدرون فيه أخلاقه الإسلامية الكريمة ، التي فتحت له أبواب السعادة في مستقبل حياته ، فلقب بشيخ الأندلس ، وصار أغنى أغنيائها .

وفي مكان منعزل عن المدينة وضواحيها ، كانت الساحة الشعبية التي أعدتها حكومة الأندلس الإسلامية ، لإقامة المهرجانات الرياضية والمباريات في الرماية والفروسية ، وكانت الساحة واسعة ، اكتست أرضها بحشيش أخضر جميل ، وقامت في جوانبها أبنية فخمة في شكل دائري ، واجهتها مكشوفة إلى الملعب ليجلس فيها المتفرجون أيام المباريات ، وكانت الساحة مفتحة الأبواب لجميع المواطنين من غير تمييز بينهم في الجنس أو الدين ؛ فقد كان للأندلسيين ولع شديد بالرياضة على اختلافها ، فكان البربر والعرب واليهود منهم والمسيحيون والمسلمون يؤمون تلك الساحة من كل فج في نشوة الفرح وغمرة السرور .

وكان العلم الإسلامي الوطني يخفق في قمة البناء ، ينشر العدل والإخاء ، ويدعو إلى التسامح والمساواة ، وكانت المباريات الرياضية والمهرجانات الشعبية في المناسبات الدينية ، والأعياد الوطنية ، وكان أعظم تلك المباريات المباراة التي تقام في أيام عيد الفطر من كل سنة ، فقد كان يتقدمها عرض عسكري عام ، تتبعه حركات رياضية ماهرة ، وكان نبلاء المسلمين وأمراؤهم يدعون إليها كبار المسيحيين وعيونهم ليشتركوا في الرماية وسباق الخيل .

وكانت الوفود تتوالى على المدينة من أقاصي البلاد وأدانيها لشهود المهرجانات ، فيتقابلهم السكان بالحفاوة والترحيب ويفتحون لهم صدورهم وبيوتهم ، ويقيمون لهم الولائم الفخمة والحفلات العظيمة ، وكانت الحكومة تعد بيوتاً لمن لم يجدوا لهم مأوى . توفر لهم فيها أسباب الراحة ، وتهيء لهم فيها طيب الإقامة .

وفي إحدى السنوات كان شهر رمضان يقترب من النهاية ، حين أخذت المدينة زخرفها وازينت ، وشرع السكان يتأهبون لاستقبال الوافدين عليهم من أعالي البلاد وأسافلها لحضور المباراة الكبرى ، وكانت عادتهم قد جرت بأن الغرباء عن المدينة يكتبون إلى أصدقائهم فيها أنهم سينزلون ضيوفاً عليهم مدة المهرجان ليعدوا لهم أماكن لإقامتهم ، وكانت برامج المهرجان تذاع بين السكان قبل إقامته بأيام معدودات ، وبينها أسماء المشتركين في المباريات الرياضية ، وركوب الخيل ، واللعب بالسيف والرمح ، وإصابة الأهداف بالسهام . لم يبق على العيد إلا يوم وبعض يوم ، وليس لأهل المدينة حديث إلا حديث المباراة ، ومن اشترك فيها من المسلمين والمسيحيين الذين استعدوا لنزال إسحاق بن إدريس ، ذلك الشاب العربي المسلم الذي توالى انتصاره في عامين متتابعين .

إن القارىء ليذكر أن إدريس بن أحمد قد أصبح أقرب المقربين إلى ذلك التاجر الأندلسي الذي التحق بخدمته في سوريا ورافقه إلى بلاده ، وخلصه في الطريق إليها من براثن موت محقق ، ولقد نعم إدريس بجواره بضع سنوات كان فيها موطن سره ، وموضع إعزازه وإكباره ، فلما وافته منيته ولم يكن قد أعقب ذرية تؤول إليها ثروته الطائلة أوصى بها لمنقذ حياته إدريس وفاء لحقه واعترافاً بفضله ، فأصبح إدريس منذ ذلك التاريخ صاحب غنى وجاه عريض . ولقد شكر لله هذه النعمة العظيمة ، فكان ينفق

بسخاء على الموزين وذوى الفاقة ، وكان يحج كل عام إلى بيت الله الحرام ، ويهدى لأهل الحرمين الشريفين ، ويتنازل لهم عن كثير من الأموال . وقد رزقه الله فى الخامسة والأربعين من عمره طفلا جميل الصورة ، لطيف التكوين ، ورث عنه صفاء العقيدة ، وحدة الذهن ، ونقاوة الضمير ، فاهتم بتربيته وتنشئته على الأخلاق الإسلامية الحميدة ، وعلمه ركوب الخيل والرماية ، فشب نبيل الطباع ، نادر المروءة ، كريماً سخياً . فلما استوى عوده ، واشتد ساعده ، أضحى مضرب المثل فى الفروسية وركوب الخيل . وكان أبوه إدريس قد بلغ من الكبر عتياً ، فعلق على ابنه كل أمل له فى الحياة ، واتخذ منه دعامة قوية ، وعدة صالحة للمستقبل

ولقد نال إسحاق فى سنتين متعاقبتين جائزة البطولة الذهبية فى المباراة الكبرى ، وتردد اسمه فى هذه السنة على كل لسان ، وتساءل الناس متشككين : أيحوز قصب السبق مرة ثالثة وقد احتشد له كبار الرماة من المسيحيين الذين برعوا فى ركوب الخيل وقد هرعوا لنزاله من مناطق شاسعة البعد ؟

حل اليوم الذى تختم به المباراة الكبرى ، وتخفق فيه قلوب المتنافسين رغبة فى الفوز ، ورهبة من الفشل ، وبدأ الناس يفدون إلى الساحة مبكرين ، وقد أخذوا زينتهم ، ولبسوا أبهى حللهم ؛ وكانت السيدات يتباهين بجمال زينتهن وحسن هندامهن وهن فى الطريق إلى مقصوراتهن الخاصة بعيدات عن الرجال ، وكان للنساء الأندلسيات ولع بشهود المباريات ولا يشتركن فى اللعب . وكان للخليفة وكبار الحاشية مقصورات خاصة بهم فى أبنية اللعب .

ولما دقت الساعة العاشرة ، وكانت الساحة غاصة بالرجال والنساء والأطفال يستمعون لأنغام الموسيقى ، ركب المتبارون جيادهم وأخذوا يقطعون الساحة ذهوباً وجيئة ، وهم يتيهون فى ملابسهم الوطنية الزاهية ويتأهبون لاستقبال الخليفة وبدء المباراة . وما هى إلا دقائق معدودة ، حتى قرعت الطبول إيذاناً بقدوم الخليفة ، فاشرأبت الأعناق ، وشاهد الحاضرون كتيبة من الفرسان تتقدم الموكب ، وكلهم من زهرة الشباب العربى المسلم ، ترقص الخيل تحتهم ، وتلمع السيوف فى أيديهم ، ثم وليها الرجالة وهم من خيرة رجال الحرب ، يحملون الأعلام الوطنية الإسلامية ، وعلى صدورهم الأنواط التى فازوا بها فى المعارك التى خاضوا غمارها وخرجوا منها ظافرين . ثم لاح الخليفة يحيط به الأمراء وكبار رجال الحكم والأمن على خيل أشد بياضاً من الثلج ، وملابسهم وسيوفهم ناصعة البياض ؛ وكان الخليفة يلبس فوق رأسه عمامة كبيرة مرصعة بالجواهر ، وتعلوها ريشة طويلة ذات ألوان عديدة أكسبتها رونقاً وبهاء . وقد استقبلت الجماهير الخليفة أروع استقبال وهتفت له فى حماسة بلغت عنان السماء وهى تردد : « الله أكبر ، الله أكبر » وقذفت السيدات بالمناديل المعطرة فى أرض الملعب احتفاء بقدوم الخليفة . رد الخليفة تحية الجماهير بأحسن منها ، ثم أخذ مجلسه وجعل المشتركون فى المباراة يمرون أمامه فى شبه عرض عسكرى يتقدم الأسن منهم ليحيى الخليفة بانحناءة بسيطة ، ثم الذى يليه فى السن ، ورئيس اللعب يقدمهم له بأسمائهم ، فلما كان دور إسحاق — والخليفة يعرفه لأنه فاز بالبطولة مرتين — قال له جلالته : كيف أنت يا إسحاق هذا العام ؟ أخشى أن يعدوك النصر ، فإنك أمام أشهر الرماة وأمهرهم ! فانحنى إسحاق قليلا ثم قال : إننى يا مولاى بحسن تأييد الله ، وجميل رعايتكم بخير والحمد لله ، وأملى فى الفوز كبير ، ما دمتم عنا راضين ! (يتبع) وهبى إسماعيل عفى

إعـــلان

تعلن وزارة الدفاع الوطنى عن وجود وظائف من الدرجة الثامنة الكتابية خالية بها . ويشترط فيمن يرشح لها أن يكون حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان ، أو التوجيهية ، أو دبلوم المحاسبة والتجارة المتوسطة ، وألا يزيد عمره عن ثلاثين سنة — وسيمنح من يقع عليه الاختيار وينجح فى الكشف الطبى الماهية المقررة لمؤهله

فعلى من يرغب فى التعيين فى إحدى هذه الوظائف أن يقدم طلبه إلى إدارة المستخدمين بوزارة الدفاع الوطنى بشارع الفلكى بوستة الدواوين على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح . فى ميعاد غايته ٢٠ — ٨ — ١٩٤٧ وسوف لا تنظر الوزارة فيما تقدم إليها من طلبات سابقة ، ومن يرغب من مقدمى الطلبات السابقة الالتحاق باحدى هذه الدرجات أن يجدد طلبه — وإذا كان من يقع عليه الاختيار مستخدما بالحكومة ولا تبيح التعليمات المعمول بها أعطاؤه الماهية والدرجة المعلن عنهما فلا يكسبه هذا الاعلان اى حق فيهما الا إذا وافقت على ذلك السلطة المختصة

٧٧٧٣

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

أن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للممعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذة الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الاعلانات

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة